

أضواء البيان

@ 103 @ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَآ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ } . .

والأمر الثاني هو سؤاله ربه تعالى لذريته الإيمان والصلاح ، كقوله تعالى { وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ } قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلدُّنْيَا إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي } ، أي واجعل من ذريتي أيضا أئمة ، وقوله تعالى عنه { رَبِّ اجْعَلْ لَّنِي مَقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي } وقوله عنه { وَاجْعَلْ لَّنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَكَ إِلَّا مَا صَنَعْنَا } وقوله عنه هو وإسماعيل { رَبِّ بَنَّا وَاجْعَلْ لَّنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ } إلى قوله { رَبِّ بَنَّا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ } . .

وقد أجاب □ دعاءه في بعث الرسول المذكور ببعثه محمداً صلى □ عليه وسلم . .

ولذا جاء في الحديث عنه صلى □ عليه وسلم أنه قال (أنا دعوة إبراهيم) . .

وقد جعل □ الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته ، كما قال تعالى في سورة العنكبوت { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ } ، وقال عنه وعن نوح في سورة الحديد { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمُ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ } . .

وعلى القول الثاني ، أن الضمير عائد إلى □ تعالى ، فلا إشكال . .

وقد بين تعالى في آية الزخرف هذه ، أن □ لم يجب دعوة إبراهيم في جميع ذريته ، ولم يجعل الكلمة باقية في جميع عقبه ، لأن كفار مكة الذين كذبوا بنينا صلى □ عليه وسلم من عقبه بإجماع العلماء ، وقد كذبوه صلى □ عليه وسلم وقالوا إنه ساحر . وكثير منهم مات على ذلك . وذلك في قوله تعالى { بَلْ مَتَّعْتُ هَآؤُلَاءِ } يعني كفار مكة وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ، هو محمد صلى □ عليه وسلم { وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ } قَالَُوا هَآؤُلَآئِ سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ } . .

وما دلت عليه آية الزخرف هذه من أن بعض عقب إبراهيم لم يجعل □ الكلمة المذكورة باقية فيهم ، دلت عليه آيات أخر من كتاب □ ، كقوله تعالى في البقرة :